هوامش

قرية فلسطينية مهجّرة خاضت معركة طاحنة في صيف عام النكبة، على ركامها تستقر مستعمرة كفار ترومان، كتذكير للعرب والفلسطينيين بمدى الانحياز الأميركي الدائم والتاريخي للكيان الصهيوني

خلّف الإسرائيليون وراءهم ركام قرية (العربي الجديد)

بيت نبالا

شاهدة على التهجير القسري

اللد ـ **رامي صايغ**

كانت القرية، القائمة على تلٍّ صخري ينحدر نحو الجنوب الغربيّ، تشرف على السهل المحيط باللد إلى الشرق من مطارها. وكانت تقع شرقي طريق عام يُفضي إلى الرملة ويافا وإلى غيرهما من المدن. وممّا عزّز صلات بيت نبالا بالمراكز المدينيّة خط فرعي لسكة الحديد التي بُنيت زمن الحكم العثمانيّ، كان يصلها بخط سكة حديد رفح-حيفا. وكانت طريق فرعيّة أخرى تربطها بالقرى المجاورة لها في الشرق والجنوب الشرقي.

في سنة 1596، كانت بيت نبالا قرية في ناحية الرملة (لواء غزة)، وعدد سكانها 297 نسمة فقط. وكانت تؤدّي الضرائب على عدد من الغلال كالقمح والشعير والزيتون والفاكهة، بالإضافة إلى عناصر أخرى من المستغلّات كالماعز وخلايا النحل ومعصرة كانت تستعمل لمعالجة الزيتون.

في أواخر القرن التاسع عشر، كانت القرية متوسطة الحجم وتقع في طرف سهل. وفي فترة الانتداب البريطاني، أنشأ البريطانيون معسكرًا في الجوار. وكان للقرية، في تلك الأثناء، شبكة متعامدة الخطوط مستطيلة الشكل؛ إذ كانت شوارعها الفرعيّة تمتد في موازاة شارعين رئيسيين يتقاطعان وسطها. وكانت بضعة دكاكين ومسجد ومدرسة ابتدائيّة تتجمهر عند ذلك التقاطع. وكانت المدرسة قد أُسست في سنة 1921، وكان يؤمها 230 تلميذًا في عام 1946 /1947. وكان سكان القرية، ومعظمهم من المسلمين، يبنون منازلهم بالحجارة والطين، ويعتاشون من الزراعة، فيزرعون الحبوب والزيتون والتين والعنب والحمضيّات. وكانت الزراعة بعليّة في معظمها، لكن بساتين الحمضيّات كانت تروى من آبار ارتوازيّة.

في 1944 /1945، كان ما مجموعه 226 دونماً مخصّصاً للحمضيّات والموز، و10197 دونماً للحبوب، و1733 دونماً مروياً أو مستخدماً للبساتين. وكان ثمة خربتان جنوبي القرية.

احتلال القرية

ورد ذكر بيت نبالا في الأوامر العملانيّة لعملية «داني» الصهيونيّة التي شملت احتلال قضاء اللد والرملة برمته. فقد صدرت الأوامر إلى القوات الإسرائيليّة، وفق المصادر التاريخيّة، بمهاجمة بيت نبالا التي كانت ترابط فيها - كخط دفاع ثان - سرية من جيش الدفاع العربي (عددها 120-150 جندياً)، بعد الاستيلاء على اللد والرملة. وفي 13 يوليو/تموز عام 1948 طُرد سكان اللد من مدينتهم، وأكره الجنود الإسرائيليون كثيرين منهم على التوجه إلى بيت نبالا (التي كانت لا تزال في يد العرب). والمرجح أن تكون القرية سقطت بعد بضعة أيام، قبل نهاية عمليّة «داني» في 18 تموز. وذكرت صحيفة نيويورك تايمز أن وحدة من قوات المغاوير الإسرائيليّة اقتحمت مشارف القرية، في 11 يوليو/ تموز، من أجل إحباط محاولة عربيّة لاستعادة «ويلهلما» المجاورة لقرية طيرة دندن؛ وهي مستعمرة زراعيّة أسسها رهبان «التمبلار» (Templar/ الهيكليون) الألمان قبل الحرب العالميّة الأولى. لكن جاء في نبأ عاجل، عقب ذلك، أن القوّات العربيّة استردّت القرية في 12 يوليو، من أجل إقامة مرابض مدفعيّة لصدّ الهجمات الإسرائيليّة على اللد. وجاء في رواية الصحيفة أن مصفّحات الجيش العربيّ دخلت القرية، إلّا أنّها وصلت متأخّرة جداً وكانت عاجزة عن نجدة اللد. وذكرت البرقيّات أن الإسرائيليين استولوا على بيت نبالا في 13 يوليو، بعد قتال شديد اصطدمت فيه الدبّابات والمصفّحات الإسرائيليّة بمصفّحات الجيش الأردني. وفي اليوم التالي، تواردت أنباء تفيد بأن القرية غدت أرضاً محايدة، لا تمثل أي خطر على اللد والرملة اللتين أمستا في يد الإسرائيليين. وبعد أيّام قليلة قالت صحيفة «نيويورك تايمز» إن القرية احتُلت قبل توقيع الهدنة الثانية في 18 يوليو. أمّا القرية نفسها فقد تقدم رئيس الحكومة الإسرائيلية آنذاك دافيد بن غوريون، في 13 سبتمبر/أيلول 1948، من اللجنة الوزاريّة الإسرائيليّة الخاصّة بالأملاك المهجورة، بطلب الإذن في تدميرها، مثل أغلبيّة القرى الفلسطينيّة المهجّرة.

أطلال قرية

في سنة 1949، أُنشئت مستعمرة كفار ترومان (تكريماً للرئيس الأميركي هاري ترومان)، غربي القرية. أمّا مستعمرة «بيت نحميا»، التي أسست في سنة 1950، فتقع جنوبي الموقع. وكلتا المستعمرتين قائمتان على أراضي القرية.

غلبت على الموقع الحشائش والنباتات الشائكة الملتفة وشجر السرو والتين. ويقع الموقع نفسه في الجانب الشرقي من مستعمرة «بيت نحميا»، على خط مستقيم شرقي الطريق المؤدّي إلى مطار اللد. وتقع على تخومه بقايا مقالع حجارة، وبعض المنازل المتهاوية. ولا يزال بعض الأجزاء من حيطان تلك المنازل قائماً. أمّا الأراضي المحيطة، فيزرعها الإسرائيليون. ومن الجدير بالذكر أن مقبرة القرية ما زالت قائمة رغم الظروف ومرور ما يقارب السبعين سنة من التهجير، ولربما تبقى آخر معلم وإثبات على وجود وموقع هذه القرية التي تشرّد أهاليها إلى شرقي فلسطين والأردن.

وفي حديث مع الناشط المقدسي طارق بكري، الذي يوثّق القرى الفلسطينيّة، قال لـ «العربي الجديد» إن ما تبقّى من قرية بيت نبالا المهجّرة هو مبنى المدرسة الابتدائيّة التي تحوّلت إلى مشتل وبعض القبور وبئر القرية وبعض ركام المنازل المهدومة، وبالطبع هنالك الصبّار الذي تمت زراعته من قبل أهالي القرى الفلسطينيّة في كافة أنحاء فلسطين، وهو الأثر الأبرز في بيت نبالا. وأضاف بكري: أنا شخصيًا أصوّر القرى الفلسطينيّة بجودة عاليّة وذلك من أجل استفادة اللاجئين الفلسطينيين الذين يطبعون هذه الصور للتذكار والمحافظة على ذاكرة قراهم المهجّرة، كما وأقوم بهذا المشروع بتطوّع كامل ولا أنوي الربح من ذلك.

من الناحية التقنية، أفضل الصور كانت فقط خلال التصوير وقت فصل الربيع، لأنّها تكون بجودة عالية بسبب الظروف الطبيعيّة الملائمة للتصوير، على العكس من فصل الصيف على سبيل المثال. لذلك جميع الصور عند اللاجئين متواجدة بجودة عالية.

ويتابع بكري: أذكر الحدث الأهم وهو مرافقة الحاجة نعمة شقديح من مواليد القرية، والتي تهجّرت مع أهلها حينما كانت في السادسة من العمر عام 1948، وحينما وصلنا إلى موقع القرية تذكّرت العديد من التفاصيل مثل معالم القرية والبئر والبيوت المهدومة وغيرها، وحينما صادفت شجرة الدوم، قطفت من ثمارها وابتدأت تغنّي أغنية محليّة... وكلماتها ما يلي:

عالدوم خيا عالدوم .. شو جاب امبارح لليوم
امبارح باقت شاريد .. واليوم مطر وغيوم
عالدوم خيا عالدوم .. عالدوم دمي ودمك يجمع
شملي مع شملك
تمنيت عمري وعمرك قصر عليّ دايم دوم
خيّال وين مغرّب .. ميّل وإتريّح عندي
لعملك كاسه شراب .. سكر مع تمر هندي
عالدوم خيا عالدوم .. شو جاب إمبارح لليوم

باختصار

أنشأ البريطانيون بجوار قرية بيت نبالا معسكرًا للجيش، وفي العام 1921 شيدت فيها أول مدرسة ويعتاش أهلها على الزراعة.

■■■

بحسب خطة داني، خاضت القرية معارك مع المليشيات الصهيونية وتحملت عبء تهجير سكان اللد والرملة، قبل أن يتم تدميرها بقرار من بن غوريون.

■■■

لم يتبق من القرية سوى مبنى المدرسة الابتدائيّة التي تحوّلت إلى مشتل وبعض القبور وبئر القرية وركام لمنازل مهدومة.

وأخيراً

تعالوا نعرّف الإرهاب

أمجد ناصر

كالعادة، عربياً، لا تنسيق إلا في قضايا الأمن، حتى قيل مرةً إن الاجتماعات العربية الوحيدة التي لم تنقطع، على الرغم من القطائع المستمرة بين دولة عربية وأخرى، هي اجتماعات وزراء الداخلية العرب. ممكن للقطيعة أن تطاول كل شيء، إلا قضايا الأمن التي تخص مصائر الأنظمة، وليس مصالح الشعوب. ومما يشكل ظاهرة، جيدة/ سيئة، في الوقت نفسه، ويرسم صورة لـ «العمل العربي» غير المشترك: معارض الكتاب. الجيد أنها تتكاثر. صارت هذه المناسبات (وهذا سيىء!) فرصة القارىء للقاء مع الكتاب. فبسبب الأزمات الاقتصادية الدورية (السمة المميزة للاقتصاد الرأسمالي بحسب النظرة الاشتراكية، وهذا، بالطبع، لا يخصّنا، لأننا لسنا منتجين سوى لسلعة واحدة غير مستدامة هي النفط) تتقلص قدرة الناس الشرائية، ويقتصر الإنفاق على «الضروري»، وليس الكتاب، في حالتنا العربية، من بينها. هناك فرصة، إذن، لشراء الكتاب بأسعار «مدروسة». وهذه الفرصة سنوية، ما يعني أن العربية/ العربي لا يقبل على شراءالكتاب، تقريباً، إلا في معارض الكتب التي تجمع، إلى الأسعار «المدروسة»، دور نشرٍ عديدة تحت سقف واحد. ومهما يكن رأينا في معارض الكتاب العربي، والفرصة المزدوجة للقارئة / القارئ، لكي يقتني كتاباً، وللناشر لكي يبيع أكبر عدد من النسخ (والتضارب قائم، لا محالة، بين المسعيين) فإنها ظاهرة جيدة تستحق التشجيع، فنحن نريد للكتاب مسرباً إلى قارئه في أي صورة كان. غير أن السيىء ضعف التنسيق بين هذه المعارض، على الرغم من وجود اتحاد عربي للناشرين، يضم ممثلين لقوى النشر المحلية. صحيحٌ أن مرتادي هذه المعارض ليسوا هم أنفسهم، ونادراً ما يذهب قارئ من بلد عربي ما إلى معرضٍ في بلد عربي مجاور، إلا في الحالة السعودية قديماً، عندما لم تكن في المملكة معارض كتب، وإن كانت فقائمة المنوعات طويلة عريضة، فكنت ترى المواطنين السعوديين في معارض الكتب في البحرين، أو في الإمارات.. أقول على الرغم من أن معارض الكتب محلية، وتخص القارىء المحلي الذي قد لا يعنيه وجود تضارب بين معرض بلاده ومعرضٍ يقام، في الوقت نفسه، في بلد آخر، إلا أن هذا يشكل إرباكاً للناشرين الذين نراهم يتراكضون من عاصمة عربية إلى أخرى، ويفضّلون، أحياناً، المشاركة في هذا المعرض «المُربح» على ذلك المعرض «المُخْسِر»، ما يحرم القراء في هذا البلد، أو ذاك، الفرصة شبه الوحيدة لاقتناء الكتاب. على أن هذا قد يكون أقل هموم معارض الكتب العربية ودور النشر المشاركة فيها. السيىء فعلاً هو قوائم المنوعات المتغيرة بحسب المزاج السياسي لهذا البلد العربي أو ذاك. فما كان مسموحاً به من قبل ليس مسموحاً به الآن. حتى إن قائمة المنوعات قد تشمل كتباً موجودة، فعلياً، في الأسواق، أي يفترض أنها مرّت بالرقابة وأجازتها.

كثيراً ما يتحدث الناشرون العرب عن الضرائب على الكتب وارتفاع أجور الأجنحة، فضلا عن كلفة الشحن (وهي قضايا حقيقية لا جدال فيها)، غير أن الأهم من ذلك رفع الصوت في مواجهة المزاج المتقلب للرقيب العربي، بل ضد الرقابة، كسيفٍ مسلطٍ على الأفكار وحريات التعبير التي هي فردية بالضرورة. وقد يكون هناك عذر للناشر العربي الذي يتردّد في الخوض في قضية الرقابة، لأن لا مدخل له إلى أي سوق عربية، إلا من خلال حدود الدولة التي قد لا تمكّنه من المشاركة في معارض الكتب التي تقام على أرضها. وقد شهدنا رقاباتٍ عربية مبتكرة على هذا الصعيد، مثل: إعاقة شحنة الكتب من الوصول في الوقت المحدد، أو عرقلتها في الجمارك حتى تنتهي أيام المعرض، أو قبل ذلك بقليل.

> اليوم يرتفع سيف رقابة جديد، هو الحرب على الإرهاب، يُضاف إلى تابوهات عربية خالدة: الجنس والدين

واليوم يرتفع سيف رقابة جديد، يمشي في ركاب السياسات المحلية والدولية، هو الحرب على الإرهاب، يُضاف إلى تابوهات عربية خالدة: الجنس والدين. كيف تحدّد الرقابات العربية الإرهاب؟ ما هي معاييرها؟ يصعب ضبط ذلك، لأن ما كان مطلوباً ترويجه من قبل صار يقع اليوم تحت طائلة الإرهاب. هل نحتاج، لمناسبة الحديث عن معارض الكتب العربية وقضاياها، إلى مدونةٍ فكريةٍ وحقوقيةٍ، تعرّف ما هو الإرهاب في ظل اختلاط المفاهيم، بل خلط المفاهيم لغاياتٍ تخدم سياسات اللحظة الراهنة؟ أظن ذلك.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **55 ديناراً**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 3,50**, USA **$ 2,00**